ورقة بحثية بعنوان : جدلية العلاقة بين اللغة والفكر

ا. م زينب جمعة جاسم

تعداللغة عامل مهم في تشكيل الفكر

وهذا يعني أن الكلمات لا تحدّد فقط من خلال محتواها اللفظي، بل من خلال السياقات الاجتماعية والثقافية التي تُستخدم فيها. ومن خلال هذا الفهم، تصبح اللغة عاملاً أساسياً في تشكيل الفكر، الأمر الذي يفتح المجال لفهمٍ أعمق لكيفيّة تأثير اللغة عن طريق إدراكنا للعالم وتنظيم أفكارنا

اللغة والكلام

تعتبر اللغة والكلام عند (فرديناند دي سوسير) كياناً عامّاً يحتوي على النشاط اللغوي الإنسانيّ، وذلك عن طريق صورةٍ ثقافيةٍ منطوقة أو مكتوبة، تكون تلك الثقافة متوارثة أو معاصرة، بمعنى آخر فإنّ اللغة والكلام هو كلّ ما يدخل ضمن نطاق النشاط اللغويّ من رموزٍ صوتيّة، أو كتابيّة، أو اصطلاحاتٍ، أو إشارات.

واللغة في المعنى اللُّغويّ: هي من الأصل (ل غ و)، والفعل منها من باب (رضى، سعى، دعا)، أما وزنها (فعة) تمّ حذف اللام منها واستبدلت بتاء التأنيث.

تعرّف اللغة اصطلاحاً حسب (روي. س. هجمان) بأنها القدرةُ الذهنيّة المكتسبة لنسقٍ يتكوّن من عددٍ من الرموز الاعتباطيّة المنطوقة، وهذه الرموز هي التي يتواصل بها أفراد مجتمعٍ ما، ومن هذا التعريف يتبيّن بأنّ اللغة هي وسيلةٌ مهمة للربط بين أفراد مجتمعٍ ما، وهي طريقة التّعبيرعن شؤونهم وهمومهم المختلفة، سواء كانت فكريّة أم غيرها، إضافةً إلى كلّ ما يهمّهم في جميع احتياجاتهم العامّة والخاصّة.

من خلال التعريفات السابقة يتبيّن لنا

ان اللغة خاضعة لنظام معيّن في المستويات الصوتيّة، والنحويّة، والفونيميّة، والدلاليّة، حيث إنّها لا تكون فوضويّة بل خاضعة الى هذا النظام الخاصّ بها.

اعتباطيّة اللغة: لا يخضع النظام الذي تبديه اللغة لأيّ منطق أو تبرير، فهي في الأساس عبارة عن نظامٍ اعتباطيّ، على سبيل المثال فإنّ بعض اللغات تبدأ بها الجمل بالاسم عادةً كما هو الحال في اللغة الإنجليزيّة، ولغاتٌ أخرى تبدأ بها الجملة بالفعل كحال اللغة العربيّة.

الطبيعة الصوتيّة للغة: تعتبر الطبيعة الصوتيّة الأساس في اللغة، بينما يأتي في المرتبة الثانية الشكل الكتابيّ لها، حيث إنّ هناك الكثير من الأفراد يتحدثون باللغة دون التمكن من كتابتها.

رموز اللغة: تعد الكلمة هي رمز المعنى الذي تدلّ عليه، وعلى سبيل المثال فإنّ كلمة (بيت) ترمز إلى شيء ما هو البيت، لكنها لا تعني البيت ذاته.

فاللغة مكتسبة: و ليست غريزة إنسانيّة، فالأفراد يتعلّمون اللغات عن طريق الاكتساب، من خلال التفاعل مع أفراد المجتمع وثقافته.

وتتكوّن اللغة من خمسة عناصر أساسيّة هي: الأصوات، والتراكيب، والنحو، والمعاني، والجوانب الاجتماعيّة.

ويعرّف الكلام لغةً: من (ك ل م) الذي يأتي منه الكلم،

تأثير اللغةفي الفكر

إن فكرة تأثير اللغة في الفكر لها تاريخ طويل في مجموعة متنوعة من المجالات. هناك نوعان من الهياكل الفكرية التي تتشكل حول هذا النقاش. الهيكل الفكري الأول ينبع من اللغويات ويعرف باسم فرضية سابر-وورف. هنالك نسخة قوية ونسخة ضعيفة من الفرضية التي تدافع عن تأثير اللغة بشكل أو بآخر على الفكر. تجادل النسخة القوية، الحتمية اللغوية، أنه بدون لغة، فلا يوجد فكر ولن يمكنه أن يوجد، بينما النسخة الضعيفة، النسبية اللغوية، تدعم فكرة وجود بعض التأثيرات من اللغة على الفكر. على الجانب المقابل، هنالك نظريات «لغة الفكر» (إل أو تي إتش) التي تعتقد أن اللغة العلنية غير ضرورية للفكر الخاص. تتناول نظريات لغة الفكر النقاش حول ما إذا كان الفكر ممكنًا بدون لغة، والذي يرتبط بسؤال ما إذا كانت اللغة قد تطورت من أجل التفكير. يصعب دراسة هذه الأفكار لأنها تثبت صعوبة تحليل آثار الثقافة مقابل الفكر مقابل اللغة في جميع المجالات الأكاديمية.

الاستخدام الرئيسي للغة هو نقل الأفكار من عقل إلى عقل آخر. إن أجزاء المعلومات اللغوية التي تدخل في عقل شخص ما، منتقلة من شخص آخر، تمنح الناس فكرة جديدة لها تأثيرات عميقة على معرفتهم بالعالم، والاستدلال، والسلوك اللاحق. اللغة لا تخلق ولا تشوه الحياة النظرية. الفكر يأتي أولًا، في حين أن اللغة هي تعبير. هناك بعض القيود في اللغة، فلا يستطيع البشر التعبير عن كل ما يفكرون به

العلاقة بين اللغة والفكر

اللُّغة هي وسيلة للتعبير والتبليغ، وهي عبارة عن نسقٍ من الإشارات والرموز التي يمكن أن تستعمل للتواصل مع الآخرين ، ولا شكَّ في أنَّ العامل الأساس في نشأة اللُّغة الإنسانيَّة يرجع إلى المجتمع نفسِه، وإلى الحياة الاجتماعية؛ فلولا اجتماع الأفراد مع بعضهم وحاجة كل واحد منهم للتفاهم والتواصُل مع الآخرين للتعبير عمَّا يجول في خواطره ما وُجدَت لغة، فهي ظاهرةٌ اجتماعيَّة تَنشأ كما تنشأ غيرها من الظَّواهر الاجتماعيَّة، فهي تنشأ بصورة طبيعية تلقائيَّة، وتنبعث من الحياة الجماعيَّة وما تقتضيه من شؤون.

وهناك تساؤل يطرح نفسَه : ما أصل اللغة؟ وكيف وُضعَت الكلمات؟ وما العلاقة بين الكلمة والشيء أو المعنى الذي تدل عليه؟

إنَّ الإجابة عن هذه الأسئلة يَجعلنا نفكِّر في علاقة الكلمة وما تدلُّ عليه، وبمعنًى أوضح علاقة اللُّغة بالفِكر: "اللغة والفِكر وجهانِ لعملةٍ واحدة، فلا بدَّ للفكر من لغة يعبِّر بوساطتها الإنسان عن أفكاره ورغباته، ولا بد للُّغة من فكرٍ حتى يطوِّرها ويَسمو من خلالها

إنَّ الله سبحانه وتعالى منح الإنسان عقلاً يفكِّر به، ولسانًا يعبِّر به؛ لهذا ما زال موضوع علاقة اللغة بالفكر وتحديد الرَّوابط بينهما من أشدِّ المباحث اهتماما تعقيدًا، وقد شغل هذا الموضوع الباحثين على اختلاف اختصاصاتهم وعلومهم؛ إذ لم تقتَصر دراسةُ العلاقة بين اللُّغة والفِكر على علوم الحياة؛ بل امتدَّت لتشمل العلومَ الاجتماعيَّة وفي مقدِّمتها علم النفس والفلسفة وعلم الاجتماع،وقد تنازع البحثَ فيها اللغويُّون والفلاسفة، على تحديدَ العلاقة التي تربط اللغة بالفكر؛ فاللغة هي الوسيلة التي يعبِّر بها الإنسان عن أفكاره وما يلِج في داخله، وهي أيضًا وسيلة للتفاهم والتواصل بين الأفراد، فاللُّغة تعبِّر عن الفِكر، وبما أنَّ الفكر في تغيُّر مستمرّ نتيجة العوامل والتغيُّرات الخارجيَّة والتطورات العلميَّة، فلا بدَّ للغة من أن تساير هذا الفِكرَ بكلِّ تغيُّراته وتطوراته؛ لهذا فعلاقة اللُّغة بالفِكر هي علاقة وطيدة، يقول العالِم دولا كروا: "إنَّ الفِكر يصنع اللُّغة في نفس الوقت الذي يُصنَع فيه من طرف اللغة، فاللُّغة هي التي تعبِّر عن الفِكر

الثراء اللغوي في ثراء الفكر والعقل

بناء على الاستعراض المعلوماتي آنف الذكر فإنه يمكننا القول: إن للغة مستويات خطابية مختلفة، فهي تخاطب العقل مقروءة، وتخاطب العقل وحاسة السمع والبصر منطوقة، ومن هنا ندلف إلى حديث الأسلوب، فتعابير المتكلم وإفاداته اللغوية وأسلوبه التعبيري يرفد ما ينطق به ويدعمه إيجابا أو ينحو به منحى سلبيا. وتعد تلك اللغة التي تخاطب العقل والحواس رمزية، وهي منحازة بلا شك وأبلغ تأثيرا من سواها المجردة من أي ظروف أو روافد، وذلك لأنها أسرع في النفاذ إلى العقل الباطن للمخاطب.

واللغة في حقيقتها قالب التفكير وأداته، والسؤال عن الأسبقية بينهما يشبه السؤال عن أولية البيضة والدجاجة! فهل فكر الإنسان قبل أن ينطق أم أنه نطق ثم فكر؟ وما جدوى معرفتنا لذلك؟

وترتبط اللغة بما فيها من رموز وتعابير بأنماط التفكير السائدة في المجتمع، ومن هنا نذكر حرص العرب وتعارفهم على إرسال أبنائهم فلذات أكبادهم إلى البادية وتحمل صعوبة الموقف والصبر عليه، ليكتسب الأطفال اللغة العربية الفصيحة الصريحة من الأقحاح، والتي لا يشوبها شائب أو عارض من عوارض الاختلاط بالأمم الأخرى، لا سيما في سنوات الطفولة المبكرة التي يكتسب فيها الطفل اللغة التي سيخاطب بها نفسه ومحيطه ومجتمعه. فقد جاء في كتب السير أنه كان يدفعهم لذلك

"ما في هواء البادية من الصفاء، وما في أخلاقها من السلامة والاعتدال، والبعد عن مفاسد المدنية، ولأن لغة البادية سليمة أصيلة

اللغة

تعد اللغة من أهم سمات الإنسان الاجتماعي التي تميزً بها دون غيره من الكائنات الاخرى الموجودة في الطبيعة، وكانت اللغة وسيلة إلى كل ما أنجزه من تراث، وابدعه من حضارة، وبها تمايزت المجتمعات البشرية وبوساطتها تعارفت وتواصلت.

وتمثّل اللغة الوسيلة الرئيسة التي تتواصل بها الأجيال، وعن طريقها تنتقل الخبرات، وعن طريقها أيضاً لا ينقطع الإنسان عن الحياة بموته، ذلك ان اللغة تعينه على الامتداد تاريخياً ليسهم بتشكل فكر وثقافة وحياة الأجيال التالية.

واللغة عند أرسطو: نظام لفظي محدد نشأ نتيجة اتفاق بين أفراد المجموعة البشرية في مكان ما". وهي رمز للفكر، وهي فرق بين الانسان والحيوان, فالنطق والفكر عند أرسطو متلازمان وبدون الكلمات لا يتيسر فكر ولا علم.

وغاية اللغة عند أرسطو : تحقيق الصلات بين الإنسان والانسان، أو معرفة الإنسان للأشياء وقد تستخدم كذلك أداة للتربية والمتعة في ناحية خاصة من نواحي النشاط الإنساني.

أما نشأتها: "فإن اللغة تنشأ بالتدريج شيئاً فشيئاً وانها لا تقع مرة واحدة، وأن اللغة تنمو وتتسع باتساع الحاجة والإدراك، وأنَّ الألفاظ الأوَل التي نطق بها الإنسان هي الألفاظ المعبرة عن الأشياء القريبة منه والمحيطة به، والتي يدركها نظره".

وحدًها عند علمائنا العرب:

قال أبن جني: "أصوات يعبرّ بها كل قومٍ عن أغراضهم".

وقال أبن الحاجب: "حد اللغة كل لفظ وضَع لًمعنى".

وقد رأى معظم الباحثين التقليديين: أنَ اللغة وسيلة إنسانية لتوصيل الأفكار والانفعلات، والرغبات، عن طريق نظام من الرموز بطريقة إراديَة.

وردّ بعض الباحثين: أن اللغة قد تستعمل لإخفاء الفكر، وصارت عبارة (تاليران): "أنَ اللغة كائنة لتخفي أفكار الإنسان" عبارة مشهورة في الدراسات اللغوية.

ثم رأى باحثون مجددون من أمثال (مالينوفكي): أن اللغة جزء من السلوك الإنساني، ونوع من العمل وليس مجَرد أداة تعكس الفكر، وان وظيفتهَا ليست مجرَد وسيلة للتفاهم او التوصيل.

ويذهب فريق من العلماء إلى تفسير اللغة على أساس نفسي وعقلي، ويرى: أن اللغة استعمال رموز صوتية منظمَة للتعبير عن الأفكار ونقلها من شخص إلى آخر، ومن مؤيدي هذه المدرسة (سابير).

وقال ابن خلدون من قبل: اللغة عبارة المتكلم عن مقصوده، وهي فعل لساني، وأضاف أن اللغات ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني، فإذا حصلت الملكة في تركيب الألفاظ للتعبير عن المعاني، ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم الغاية من إفادة مقصودة للسامع.

إن تعريفات اللغة هذه بقدر ماتلقي لتزيد كنة (اللغة) وضوحاً الاَ إنها تفترق بحسب وجهة نظر كل عالم إليها فالفلاسفة وعلماء المنطق والمعاصرون مازالوا يتعتمدون مقولة أرسطو في (ان اللغة رمز للفكر) في حين أن وظيفة اللغة تتعدى ذلك، كونها اداة لنقل الأفكار.

ولكننا نرى أن أفضل تعريف لَلغة بمنعناها العلمي، وهي تعريف علماء الاجتماع لها، والذي يلتقي وما قدَمه العلماء العرب من تعريفات للغة، لأنها رموز صوتية تنبئ عن مدلولات خاصة للتعبير عما يحتاج إليه الإنسان في حياته، إذ عَرفها الجرَحاني.

"اللغة هو ما يعبَر بها كل قوم عن أغراضهم" وهذا هو حدَها عند أبن جني كما ذكرنا.

ويرى (فندريس) ان اللغة فعل اجتماعي من حيث إنها استجابة لحاجة الاتصال بين بني الإنسان، لافرق أنٍ تكون الحاجة عامة لتمشية أمور الناس في حياتهم المختلفة، أو خاصة للتعبير عن الأفكار التي تجول في ذهن الفرد.